مجلة الرائد

العدد : ١٨٥ الموافق في رجـــب ١٤١٧ هجري ١٢ / ١٩٩٦ ميلادي

عنوان المقال : يا بـــــــني	بقلم : عبد الإله أبو طارق

إليك يا ولدي أكتب هذه الأسطر محاولاً أن أعوضك قليلاً عما فاتك من ذكريات بلدك. إذا كنت اضطررت للهجرة بسبب مرض أخيك ، أو بسبب الضعف المادي ، فلا تظن يابني أني قد تخليت عن ديني وعقيدتي. فوالله الذي خلقك وأحسن صورتك ، وجوّد صوتك بالقرآن ، ما كان لي أن أخونك وأخون إخوتك ، فتربيتكم تؤرقني ، وتلقينكم حضارة الإسلام تقض مضجعي.

ها أنت كبرت وأصبحت في الصف السادس ، وأصبحت تعاني من آلام الغربة ، وضرورة التمييز بين الحق الذي جاء به الإسلام وما عداه من العقائد والفلسفات والترهات.

قلت لي : إن المعلمة تحدثت عن الثعبان الذي زين لآدم الأكل من الشجرة ، وأن ذلك كان في حصة الرسم. وأنت تعلم يا بني من خلال ما درسته من القرآن الكريم ، أن الآيات التي ذكرت الشيطان الذي وسوس لهما (آدم وحواء عليهما السلام) لم تذكر أنه اتخذ شكل ثعبان أو غير ذلك. ونحن مأمورون أن نأخذ عقيدتنا عن شيوخنا بالدليل القاطع الذي لا يتسرب إليه شك. وإذا كانت المعلمة لا تقبل منك التصحيح ، فليس لأنها تريد إقرار الباطل ، فأنت تعلم أنها نفسها في بداية السنة أقرت لي بأنها ملحدة (أي أنها ليست على دين) ؛ ولكنها لا تريد أن تتخذ من نقاشك أمام التلاميذ مرجعاً يكون هو دينك الذي منّ الله عليك به ، فهذا يعطي الفرصة للجميع لكي يعلموا أن لهم أصولاً غير التي تريد المعلمة أن تدمجهم فيها.

إن شعار الإدماج الذي يرفعونه شعار فاسد من أساسه ؛ لأنهم يتحدثون عن الحق في المخالفة ، ولكنهم يرفضونها ، ويتحدثون عن إمكانية تعدد الثقافات ، ولكنهم لا يقبلون بوجود ثقافة أخرى غير التي تسود في المجتمع. يريدون إرغام الناس على السكن بعيداً عن الأسر التي لها نفس الأصل ، ويريدون تشتيت التلاميذ بعيداً عن أحيائهم متحملين تبعات النقل ، وهمهم في ذلك أن يقللوا فرص الالتقاء بين الأطفال من أصل واحد ؛ وذلك لكي يذوب ذلك الأصل ويذوب أصحابه في المجتمع.

يقولون إنهم بذلك يجتنبون تكوين (غيتويات) يكثر فيها الإجرام والمشاكل الاجتماعية المختلفة ، وقد يكون هذا صحيحاً بالنسبة لبعض المجتمعات ، ولكن الأصل أن يكون الناس أحراراً في اختيار أماكن سكنهم أو عملهم ، ولذلك ينتقل الناس عادة إلى حيث يكثر من يشبههم في الدين واللغة والشكل وغير ذلك ، أي حيث يشعرون بالاطمئنان ، وهذا من أبسط ما يجب أن يتمتع به إنسان حر.

اعلم يا بني أن الإسلام هو الذي ضمن للناس تلك الحقوق الأساسية ، وهذا التاريخ دليل على ذلك.

سنزور إن شاء الله مدينة فاس في الصيف المقبل ، وسترى بأم عينك كيف وفى المسلمون عهدهم مع اليهود والنصارى.

وذلك من خلال الحيطان والبيوت ، فقد فتح المسلمون أبواب العالم الإسلامي ، عبر العصور ، لكل مظلوم من المجتمعات الأخرى ؛ لكي يدخل الأرض الإسلامية من أي باب شاء. ولم ترغم السلطة الإسلامية أحداً على السكن في مكان دون مكان ، بل كانت دائماً تساعدهم على بناء أسوار أحيائهم ليشعروا بالاطمئنان.

وهذا " روجي لوترنو " أستاذ التاريخ بثانوية مولاي إدريس بفاس قبل الاستقلال ، يشهد في كتابه " فاس قبل الحماية " : - نظام الحماية كان بين سنة ١٩١٢ و ١٩٥٤ حيث استعمرت فرنسا المغرب في هذه الفترة بحجة أن قادته غير قادرين على تسييره ولا على حمايته. وقد دخلوا بلاداً إسلامية أخرى ، ودخلها غيرهم من المستعمرين في نفس الفترة وبنفس الحجة - : « إن اليهود كانوا يعيشون حياة سعيدة في حي الملاح ، وإن علاقتهم بالمسلمين ، في فاس الجديدة والمدينة القديمة ، وصلت إلى أعظم ما يمكن أن تصل إليه الشعوب في حسن التساكن. ولم يُرغَم اليهود على ترك عقيدتهم وعاداتهم ، كما لم يرغموا على الاندماج تعسفاً ، ولم تنزع منهم جنسيتهم الأصلية ، ولم تمسخ شخصيتهم ».

لقد ظل اليهود يحافظون على شخصيتهم الدينية سواء في العمران أو المعاملة والتجارة ، أو العادات اليومية ، أو الحفلات والمآتم ، فقد بنوا البيعة وأسسوا المقبرة والمدرسة ، يساعدهم في ذلك المسلمون أنفسهم ، ويساعدونهم كذلك في إطفاء الحرائق ، ونقل الجيف من حيواناتهم ، ولا يمسونهم بسوء في حياتهم ولا بعد مماتهم ، فهذه مقبرتهم المطلة على الطريق الرئيسية - بين المدينة الجديدة والمدينة القديمة - دالة على وفاء المسلمين لهم.

ونحن في هذه البلاد يا بني ، حيل بيننا وبين بناء المسجد ، فقد علمت يابني قرار بلدية كوبنهاجن في شأن بناء المسجد ، وحيل بيننا وبين دفن أمواتنا في مقبرة خاصة ، وكأنهم لا يرضون لنا التميز بعد موتنا ، كما لم يرضوه لنا في حياتنا. ولذلك فأنت ترى أن موتانا يحملون بالطائرة في صندوق حديدي إلى المغرب الحبيب ؛ لكي يدفنوا بين ذويهم. وكان الأجدر بدعاة حقوق الإنسان ومن ينشد في هذه الأيام نشيد التعددية وقبول الاختلاف ، أن يقبلوا بنا كما نحن ، وأن يسمحوا لنا أن نعيش مسلمين ونموت

مسلمين.

يا بني : إنني لا أريد منك أن تكره المجتمع الذي تعيش فيه ، فقد آوانا ، وأوجد لنا فرصة العمل والعلاج ، ولكنني أدعوك أن تتفكر في الذي يحدث لك في المدرسة ، وأن تتعامل معه بعين عالمية الإسلام العظيم ، وأن تنقل أصدقاءك من النظرة الضيقة إلى سعة الإسلام العظيم. واعلم يا بني أن الإسلام اعترف باليهود والنصارى ووسعهم ، وأعطاهم جميعاً فرصة العيش في المجتمع الإسلامي ، ودعاهم إلى الحوار والتفكر ، وبشر بانتصار النصارى على المشركين ، وأباح الأكل من طعام أهل الكتاب جميعاً ، والزواج من نسائهم ، ومن ولد من هذا الزواج مسلم ، لا فرق بينه وبين المسلمين.

أما بالمقابل ، فإنهم لم يعترفوا بالقرآن ، وكفروا بمحمد ﷺ ، فمن أين يبدأ الحوار والتعدد ؟

يا بني : إذا كانت الظروف قد دفعتني وأمك للهجرة ، فإنني أوصيك بما أوصاك به شيخ المسجد ، قاضي شمس الدين : أن تهيئ نفسك للعودة إلى أرض الإسلام ، متسلحاً بالعلم والإيمان ، وتعيش بين ذويك عزيزاً مكرماً. وهذا عمك قد وفقه الله للعودة ، فهو خير قدوة لك ؛ فلا تحكم على نفسك وذويك بالغربة ، وقد وسع الله المقام في العالم الإسلامي ، وتعيش فيه حياة الإسلام ، وتسمع الأذان ، وتقيم الصلوات ، وتخدم إخوانك. لكن إذا كنت تشعر بما لا أشعر ، وتعتبر أن بلدك هو هذا ، فلا تنس واجب الدعوة إلى الله ، فإنك لازلت بخير ما قمت بهذا الواجب ، وإلا حملك التيار ، وأصبحت في خبر كان.

والدك الذي يحبك